المال

للقصصي التشيكي كارل كابك

بقلم الاستاذ ابراهيم حسين العقاد

غلبه الداء ثانية وهو يتناول غداءه وأحس برأسه يكاد ينفجر فأسنده إلى راحة يده في الوقت الذي انسحبت فيه مدبرة البيت راثية له وقد آثرت تركه مضجعاً على المقعد الطويل ناعماً — كما خيل لها — براحة كانت في الواقع عذاباً كابد المسكين قسوته . فقلبه غير منتظم الضربات ومعدته قد استحالت في ثقلها حجراً ، وشعر وقد خارت منه القوى برغبة في النوم ولكن ... آه ! لو أن الكرى واتاه وكحل السهاد عينيه !

ومرت ساعة عادت بعدها مدبرة البيت تدق بابه لتعطيه برقية فضها مسرعاً وقرأ :

٤٠ — ٧ × ١٠ — ١٩ أصل الليلة

« روزا »

أية ليلة تراها هذه الليلة ؟ ! تلك كانت الفكرة التي شغلته والتي وقف خيالها في حيرة والبرقية في يده محاولا أن يفسر طلاسم أرقامها ؛ وبعد جهد استطاع أن يفهم أن شقيقته المتزوجة روزا ستصل في قطار الليل وعليه أن ينتظرها فربما حضرت لشراء بعض حاجاتها ولكن ... لعن الله نقيصة التسرع في خلق النساء ! إذ حرمته دون مبرر بعض راحة كان ينشدها

وراح يذرع حجرته جيئة وذهوباً والقلق يسود نفسه لفساد برنامج أعده لقضاء ليلته ... لقد أراد أن يقضيها مضجعاً على المقعد الطويل والكتاب في يده وضوء المصباح الهزيل يداخل نفسه روح من الهدوء والاستقرار .. يا للعجب ! لطالما رام بهذه الضجعة وكرهها في نفسه ولكن . . لأي سبب تراه قد أحبها الآن ؟ ! أي سر غامض جعل هذا الاحساس يسوده فيحب وحدته ويفضلها على كل شيء وبخاصة في هذه الليلة التي وصلته فيها البرقية التي أمسك بها في يده وهو تحت سلطان الفكرة الجديدة الطارئة فغلبته رعونة من طفولته القديمة وسرعان ما كان يمزقها إرباً ؟ !

ما أسرع ما يغيرنا الزمن . وما أقصرها فترات تلك التي يجعلنا فيها نتحول من حال إلى أحوال ! ! لقد تغير إحساس الشاب عند ما كان ينتظر في ذلك الجو الرطب مقدم القاطرة التي تأخرت عن موعد وصولها ... ساده إحساس من الأسى والرثاء إذ كان كل ما حواليه يوحي بالفاقة والفقر والبؤس ... تلك أشياء لمسها مجسمة في وجوه أولئك المنتظرين هباء أو القادمين وقد مستهم الضراء وعبث الكلال بأجسادهم الهزيلة المرهقة

ووسط زحام جموع القادمين استطاع أن يتعرف كيان شقيقته المغاير وأن يلمح وجهها الشاحب وعينيها الشاردتين وهي تسير متهالكة تجر وراءها حقيبة كبيرة ، جعله مرآها يعتقد أن شيئاً ما قد دهم شقيقته العزيزة

واستقل الشقيقان عربة أسرعت بهما إلى البيت دون أن ينسى خلال الطريق أن يعرض عليها المبيت فى فندق يستأجر لها إحدى حجراته إمعاناً فى توفير راحتها ولكنها لم تجبه إلا بسيل من الدموع علقت ببعض قطراته بأهدابها فأمسك يدها الصاغرة بيديه وراح فى حنان يربت عليها . ولكم كانت سعادته عظيمة عندما اكتسى وجه المسكينة بابتسامة مشرقة وهى تنظر إليه نظرة الممتنة الشاكرة ولكن سرعان ما تغير كل هذا عند ما وصلا المنزل وجلست روزا على المقعد الطويل تحوطها الوسائد . . . كانت بادية الرجفة شاردة النظرات فاربتها مرتعشة الشفتين مما روع شقيقها فأقبل عليها مستفسراً طالباً منها أن تكون فى حديثها أكثر هدوءاً خشية أن تمزق سكينة الليل وهى تكلمه فى عصبية قائلة :

— أقول لك إنى فررت . . . هربت من زوجى . . . آه ! لو أنه كان فى وسعك أن تتصور مدى آلام ثقال كنت أنوء تحتها ولكن لا . . . إنك لن تستطيع أن تصدق كم كان يكرهنى . . . أخى . . . لقد فررت . . . هربت من بيت الزوجية وأتيتك طالبة نصيحتك وإرشادك . . .

وانفجرت المسكينة تبكى بدموع غزيرة بينما تجهم وجه شقيقها جورج ، وراح يخطو داخل الحجرة فى عصبية ثائرة تصور خلالها حياة أخته مع زوج لا خلاق له يتعمد تقريعها وإهانتها أمام الخدم . . . لا يعرف غير ملاهيه وملاذه يجول فيها ويصول ثم يقتر ويغل يده إلى عنقه إذا ما طالبته زوجته المسكينة ببعض ضروريات الحياة . . . أية قصة تراها تلك التى أرغم على سماعها خاسة بطريقة الزوج المعيشية وكيف يتناول الطعام ويقابل بالشر ماتسديه زوجته إليه من الخير ، وإذلالها الدائم وتحقيرها والشاجرات التى تنشب بينهما فى وحشية ! وأحس المسكين بموجات من الاشفاق تطغى عليه فخيل إليه معها أنه من الغبن أن يتحمل كل هذا دون أن يحتج أو يحرك ساكنا

ونظر من خلال أساه إلى تلك الشابة المسكينة المهدمة التى غلبها الضنى وأذوى عودها الهم وهى التى ما عرفت الخنوع ولا رضيت المهانة وعاشت مدللة محبوبة ثورية ذات كبرياء وأنفة . . . هذه الفتاة التى كانت تناقش ولا تخضع لرأى ، والتى كانت عيناها تتوهجان ببريق لامع يعبر عن الذكاء . . . المسكينة ! تجلس الآن وقد جرفها سيول الحزن وفاضت مدامعها وشهج صوتها الطروب حتى كانت تتكلم بصعوبة لم تحتملها أعصاب جورج الذى صاح يريد إسكاتها وهو يغالب أحاسيسه الرائية :

— كفى . . . إننى أعرف كل شىء

وخارت قوى المسكين ولم يستطع إتمام حديثه فى الوقت الذى زاد فيه نشيج روزا وهى تقول :

— لا تقل هذا . . . إننى ضالة فى هذه الحياة ، وليس لى فى هذه الدنيا سواك

واتسع المجال للبكاء فعلا صوتها وهى تقص مأساتها وما حدث لها وصوتها يتلون مع رهبة الحوادث وقسوتها . . . وفجأة توقفت عن البكاء وسألت شقيقها :

— وأنت جورج . . . كيف حالك ؟

— بالنسبة إلى أعترف لك أنى لا أستطيع

الشكوى ولكن .. بالنسبة لك .. هل تنوين العودة إليه ثانية ؟ !

— أنا ! ! محال ... هذا مستحيل لن يحدث بل إنى أوثر الموت على ذلك ... آه ! لو أنه كان فى وسعك أن تتصور أى حياة كنت أحياها !

— حسن . . . ولكن انتظرى . . . فى هذه الحالة ما الذى تنوين عمله ؟

لقد فكرت فى هذا قبلا ... سأقوم بمهمة التدريس أو ألتحق بأى عمل ما ... لا تعجب فان الزمن كفيل باقناعك أنى مستطيعة النجاح فى عملى وبأنى سأكون سعيدة إذ أريح قوتى بنفسى . . . لست أطلب إلا نصيحتك وتشجيعك .. أما مسكنى فسأجده سريعاً فى أى مكان ولكن فكرى معى قليلا ..

ونهضت من مكانها فى عصبية وراحت تذرع الحجرة إلى جانب جورج وهى تحدثه قائلة :

— إن المنقولات القديمة التى تركها أبوانا ستكون من نصيبى ... لا تنظر إلى هكذا حتى أتم حديثى ... لست أريد شيئاً ولكنى أريد أن أعيش فى هدوء وسلام غير عابئة بكونى فقيرة ، لأن أقل شىء سأجد فيه كفايتى ما دمت بعيدة عن ذلك الجو ... إن العمل هو غايتى وإليه أصبو ... سأغنى فقد مر زمن طويل لم تردد فيه شفتاى أى لحن .. جورجى ... آه لو تعلم !

— تطرقين أبواب العمل ! ! إنى فى شك من تحقيق ذلك بل إنى أؤكد لك أنك لست مستطيعة هذا لأنه شىء لم تعتده نفسك ... ستجدين العمل صعباً ... صعباً جداً يا روزى

— كلا ... أنت لا تعرف كيف كنت أعيش ... أى آلام كابدت حزازتها وأى تقريع كان يوقر أذنى ويضنى جسدى من أجل اللقمة التى كنت أتبلغ بها أو الكساء الذى كان يسترنى ... لا أستطيع أن أعمل ! ! كلا أنا واثقة من قدرتى على العمل وسترى بنفسك كيف سأخطو بنجاح وكيف سأكون سعيدة فى حياة أتخيلها مظللة بالهدوء والأمن ... سأجد راحة النفس فى كسرة جافة أمسك بها رمق وهدوء الضمير فى مكان خشن آوى إليه ... شجعنى بكلمة ... قل إنه باستطاعتى أن أصبح إحدى النساء اللاتى يعملن ويجاهدن من أجل العيش ... وحتى لو ما كسنى الظروف سألتحق بأحد المصانع .. ها أنت ذا ترى أنى عددت للأمر عدته تماماً ...

أيتها السموات الرحيمة ! ! أى أمل براق هذا الذى جعلته يداخل نفوساً محطمة ! ! لقد أحس جورج بالخجل يجلله إذ كان ينظر إلى العمل نظرة غريبة حورتها هذه الفتاة المشبوبة الحماس ... هاهى ذى تعود أعواماً إلى الوراء .. إلى أيام طفولتها .. إنها لا بد مصيبة كل نجاح ... بل كيف يقدر لن لها مثل هذا الروح أن تلقى الفشل ؟ !

واستطردت روزا ثانية تقول :

— سأغامر وإنك لترانى مقدمة على هذه المغامرة ... لن أقبل مساعدة من مخلوق وسيكون فى وسعى أن أريح وأن أزين مائدة طعامى ببعض الأزاهير ... وحتى هذه الأزاهير إن عز على نيلها سأكتفى بأن أراها وأن أجتاز الطرقات ... أية أحاسيس طاغية غمرتنى بالهدوء عند ما استقر رأيى

على الهرب ... الفرار من ذلك الجحيم الذى كنت أعيش فيه، وما أبعد الفرق بينه وبين حياة بدأت الآن أراها طالما احتلت خيالى وتفكيرى ... كم أنا سعيدة!!

— أيتها المجنونة الصغيرة، إنه ليس بالأمر السهل ما تفكرين فيه ... سنفكر سوياً ولكن ... عليك أن تريحى الآن جسدك المرهق على ألا تتحدثى فى هـذا الأمر واتركينى إلى وحدتى فلدى بعض أفكار . وحتى إذا ما طالعنا الصباح الجديد بأضوائه صارحتك برأيى فى الأمر الذى تنتوين ... اذهبى الآن لتنامى .

كان من العبث إقناع روزا باحتلال فراش أخيها إذ صممت على قضاء ليلتها نائمة على المقعد الطويل وهى فى كامل ملابسها ، الأمر الذى لم يجد جورج معه إلا موافقتها، فدثرها بكل ما لديه من غطاء دفىء ثم أطفأ المصباح، فساد الهدوء المسكن إلا من تهدجات صدرها التى كانت كمن تستصرخ السماء مطالبة بالرحمة.

وفى دعة فتح جورج النافذة لتغمر الحجرة نسمات هذه الليلة الهادئة من ليالى أكتوبر وقد صفت السماء وراحت النجوم تلمع على صفحتها ... وجرت به الذكريات إلى الماضى أشواطاً بعيدة ... تذكر ليلة ما وهما صغيران : هو وروزا ، وقد وقفا متلاصقين إلى جانب النافذة فى إحدى الليالى الباردة يرقبان الشهب وهى تنتقل من بروجها وقد جعل جسد روزا يهتز إثر هبات رياح الليل به ... إن صوتها الساذج الحنون ما زال يتردد فى سمعه وهى تهمس قائلة :

« عند ما يهوى نجم سأتمنى على الله أن يجعلنى ولدا وأن يسند أزرى لأقوم بعمل عظيم » .

كان الأب فى تلك الليلة غارقاً فى نوم عميق بينما كان الأخ يستشعر العظمة فى نفسه فضم الصغيرة إليه ليحميها فى صدره إذ كانت ترتعد من برد الليل وهى أحلامها ... وهوى نجم من السماء إلى الحديقة وعلا صوت الصغيرة روزا تقول « جورج...» وأجابها أن نعم وهو يفكر فى نفسه فى ذلك العمل العظيم الذى تتمنى القيام به ... أيتها المخلوقة المسكينة النعسة ... أى عمل جليل هذا الذى تحلمين به ؟! إنك إذ تحلمين بالمجد تنبذين الراحة وتحملين كتفيك الرقيقتين من الأثقال والهموم ما لا قبل لهما بحمله .. نعم إنك لست بالقادرة على شىء وحتى لو أردت أن تمدى يدك لصرعى البؤس لجرتك أيديهم إلى الهاوية .. وسمع وهو فى وقفته تلك همس الصغيرة وهى تناديه ثانية : « جورج » فالتفت إليها قائلاً :

« أنصتى إلى ... لقد فكرت فى الأمر فلم أجد من الأعمال ما يليق بك ... إن هناك أعمالاً كثيرة ، ولكنك لست مصنوعة منها الزيع الذى تبغين »

وأجابته وهى فى هدوء :

— سأرضى بالقليل

— كلا ... انتظرى لحظة لأنك لا تعرفين معنى قولك.. ها أنت ذى ترين أنى سعيد بعملى قانع بمرتبى ، بل وفى وسعى أيضاً أن أحصل على عمل آخر « بعد الظهر » ولكنى لا أريد لأنى لا أعرف أى عمل سأمارس ولذا أعرض عليك بعض المال

— أى مال تعنى ؟!

— سأتنازل لك عن نصيبى فى أرباح تركة

والدى ... إنه مبلغ تحصلين منه على إيراد سنوى يبلغ خمسة آلاف جنيه

وهبت الفتاة صارخة :

— هذا مستحيل

— أوه ! لا تصرخى ... إنها الأرباح فقط فاذا لم تريديها فبوسعك عدم صرفها

— وأى شىء سيتبقى لك أنت بعد ذلك ؟

— لا تهتمى بهذا ... كثيراً ما غلبنى الخجل على أمرى من العمل « بعد الظهر » ... والآن ... هذا المال يضايقنى وجوده فهل تريدينه أم لا ؟!

واقتربت الشابة من شقيقها ثم طوقت عنقه بذراعيها وقربت من وجهه وجهها الندى بالدموع وقالت والفرح غالبها :

— جورج ... لقد قبلت ما عرضته على وهو شىء ما فكرت فيه ... أقسم لك أنى لم أكن أنتظر منك أى مساعدة ولكن ما دمت أنت تريد ...

— دعى هذا الآن فليست له الأهمية التى تظنين ... إن هذا المال يا روزا ليس بذى الأهمية بالنسبة إلى ... يجب على الرجل أن يعمل ... إلا أنى أعود لأسألك : وماذا عسى أن يصنع رجل واحد؟ إن الطواف والتجوال مهما طال به أمرهما فانه لا بد عائد مرة أخرى إلى نفسه ... إنه لأشبه ما يكون بانسان تحوطه المرايا من كل جهة بحيث لن يرى إلا صورته التى تنطق بالوحدة ... آه أيتها العزيزة لو أنك تعرفين المعنى الحقيقى من كل هذا ؟ لا. لا يا روزا، لن أجعلك تتصورين كل هذا الهول بل أرى أنه من واجبى أن أعترف لك بأنى سعيد بقدمك ... أنظرى إلى السماء الصافية رصعتها لآلئ النجوم الدرية ... ألا يعيد مرآها إلى خيالك ذكرى ليلة وقفنا فيها صغيرين إلى جانب نافذة بيتنا نرقب النجوم وهى تهوى ؟ !

وحولت وجهها عنه وقد عرته صفرة رهيبة ، ونظر إليها فروعه ذلك البريق المخيف الذى انتقدت به عيناها وسمعها تقول :

— كلا ... لست أذكر شيئاً مما تقول ، بل لا أعرف للآن أى شىء يجعل هذه الذكرى حبيبة إلى نفسك !

وغلبته الفرحة وهو يقترب منها سعيداً وقد جعل كفه براحة يده على شعرها الأملس وهو يقول:

— دعى الآن حديث المال ... ما كان أبرك عند ما فكرت فى الحضور إلى هنا ... أيتها السموات كم أنا سعيد لأن النافذة انشقت من بين المرايا العديدة ... هل تتصورين هذا ؟! لم أكن أهتم بغير نفسى حتى لقد برمت بها ... أتذكرين ؟! أتراك تذكرين ليلة تساقطت النجوم فيها ... ما عساها كانت أمنيتك التى أردت ؟ ! وهذه الليلة ... أية أمنية تجول بخاطرك لو هوى نجم .. أى شىء تطلبين ؟

— شىء لى ... لا ... وأطلب شيئاً لك ... حادث تتمناه ، أطلب من السماء أن تحققه لك

— ليست لى مطالب ولا رغبات ، وإنى أشكر الله على ذلك يا روزا .. والآن .. هل فكرت فى شىء ؟ انتظرى حتى الغد فأستأجر لك مسكناً يشرف على مناظر بهجة ... إنك لن ترى من هنا

سوى فناء البيت ، ولكم يحز فى النفس ألا تنعم دواماً برؤية السماء وما على صفحتها من نجوم لامعات

وغادر الحجرة وقد غمرته أحاسيس غريبة بين صور باسمة للمستقبل وسعادة موانية ، ثم عاد إليها ثانية فألفى روزا وقد داعب الوسن جفنيها وهى تنظر ناحيته قريرة هادئة ، فراح فى نشوة من غبطته يتصفح الصحف لعله واجد فيها مسكناً جديداً يرضيها . . . وهكذا ظل حتى طالعه الصباح وهو بأفكاره جد قرير ...

وبدأ جورج حياة جديدة وانتقل إلى مسكن جديد واعتاد أن يؤدى الكثير من الأعمال الاضافية التى أرهقته بادئ ذى بدء ولكنه اضطر إلى احتمالها إذ كان يسمع صوتاً داخلياً يقول له : « تحمل لأنك لا تعيش لنفسك فقط بل من أجل غيرك » حقاً لقد كانت تلك حياة جديدة بالنسبة إليه ...

وحل على جورج فى يوم من الأيام ضيف جديد كان أخته الأخرى تيلدا المتزوجة من أحد أصحاب المعامل القريبة من المدينة والذى لم يصب فى عمله نجاحاً كبيراً . وقد اعتادت كلما حضرت إلى براغ أن تزور جورج فتقص عليه من سيرتها وسيرة أبنائها الثلاثة الصغار الشىء الكثير حتى لكأن العالم قد أقفر ممن فيه إلا أطفالها ... ولكن زيارتها هذه كانت غريبة روعته ، فدق قلبه هلعاً ورهبة ، إلا أن الهدوء داخله سريعاً عندما علم أن الأولاد الثلاثة بخير ، وأن المعمل يسير من سيئ إلى أسوأ وأنها حضرت إلى المدينة لتبحث عمن يقبل أن يشتريه ... ونظرت حواليها نظرة غريبة ثم استقرت عيناها على ثقب فى البساط ونظرت إلى جورج فجرى دم الخجل فى عروقه وهى تسأله :

— وإذاً روزا هنا ؟ لقد تركت بيت زوجها لأنه كما تقول يتعمد إهانتها ... قد يصح وقوع هذا ولكن ... لا بد لكل شىء من سبب ... لقد كان لزوجها ملء الحق فى كل شىء فعله ... إن روزا ... لست أدرى بم أسميها ... إنها ليست بالصالحة لكى تكون زوجة ... لا أولاد لها ولا عمل ولذا لا تراها تهتم إلا ... بنفسها ... إنها مبذرة جعلت المسكين زوجها يغرق فى الدين ثم تركته ... ألم تلاحظ ثوبها ؟ :

— لا ...

— إنك لا تعرف كم يساوى ... إنها تشترى الفراء بآلاف الجنيهات لتبيعه بنصف الثمن كى تشترى بها أحذية ثم تخفى فواتير المطالبة بالدفع فتصلهم الانذارات ... ألم يصلك نبأ هذا ؟!

— كلا . فانك تعلمين أنه لاصلة تربطنى بزوجها

— إنه مخلوق عجيب ... يثور عند ما تترك ثوبه دون إصلاح وتتفنن هى فى زينتها حتى لتبدو كإحدى الدوقات ... تغشى المجتمعات وتصاحب الرجال و ...

— كفى ...

— ربما تكون قد أقنعتك بأنها ستقوم بتدبير شئون منزلك فجعلتك تترك مسكنك إلى آخر أكثر سعة ... إنها ليست فى حاجة إلى كل هذا لأنها أحضرته معها إلى هنا ... ضابطها ... لقد صدر أمر بنقله إلى براغ ولهذا هربت من بيت زوجها

وحضرت إلى هنا مع عشيقها ... إنها دون شك لم تخبرك بشيء من هذا

— تيلدا ... إنك تكذبين

— حقق بنفسك هذا الأمر ... إنك طيب القلب ولولا حبي لك ما صارحتك ... إن روزا لم تهتم بك في يوم من الأيام حتى إنها قالت عنك إنك ...

— كفى ... اذهبي ... اذهبي أتوسل إليك واتركيني أنعم بهدوء أتطلبه

— سأذهب ولكن ... إن المكان هنا قذر وجدير بك أن تبحث عن آخر أكثر ملاءمة لك ... إنك لترى الظلمة تسوده ... هل أرسل لك ...

— لا ... لست أريد شيئاً

— حسن ... أنا ذاهبة ... إلى اللقاء يا جورج ...

واعتورت الرعدة بدنه المحموم وجف حلقومه وحاول دون طائل أن يؤدي أي عمل فلم يجد سوى أن يحطم القلم ويمزق بعض الأوراق، ثم غادر مسكنه ذاهباً إلى البيت الذي اتخذ من أحد أقسامه مسكناً لشقيقته روزا، ولكن مدبرته أخبرت جورج أن السيدة الصغيرة قد خرجت منذ الصباح ولم تعد وإن كان لديه خبر فستحمله لها، ولكن الشاب الثائر تركها دون كلمة وعاد يجر نفسه كمن يحمل على كتفيه أثقل الأحمال حتى وصل مسكنه فولج بابه وجلس إلى مكتبه محاولا أن يعمل ولكن الساعات مرت دون أن يفرغ من الصحيفة التي أمامه كما أن الليل خيم دون أن يفكر وهو في جلسته أن يوقد المصباح. وأخيراً دق الجرس دقات مرحة ولم تمض لحظات حتى كانت روزا أمامه تبتسم في حنان وهي تسأله :

— أنائم أنت يا جورجي ؟ ! كيف ... ما أكثر ظلمة هذا المكان ... أين أنت ؟ !

— كنت مشغولاً ...

— أنصت إلي ... لقد فكرت أن آتيك هنا مباشرة ولكن فكرت في أنك ربما لم تعد إلى البيت

— لماذا ... وأين تظنينني أكون ؟ ! أظن أنك أنت لم تكوني في بيتك

— أي مكان تظنني كنت فيه ؟ ! ما أجمل مسكنك هذا وما أشد فرحي لأني معك ... تعال ... تعال واجلس إلى جانبي ... إنني سعيدة ...

وأسند وجهه إلى فرائها الذي تندى برطوبة الخريف وقال يحدث نفسه « لعلها ذهبت إلى مكان ما فما شأني أنا بذلك ؟ » ، ولكن ذلك لم يكن داعياً ليداخل الهدوء نفسه إذ جعل قلبه يدق مرتاعاً فأخاف روزا وقالت له :

— ما الذي حدث ؟ !

— لا شيء ... لقد زارتني اليوم تيلدا ...

— تيلدا ... وتحدثت عني ؟ ! ما الذي نقلته إليك ؟ ! تعال .. تكلم .. إنها ولا بد سبتني لك .. ما الذي قالته ؟

— لا شيء قلت لك ... بعض أخبار صغيرة

وانفجرت الشابة باكية عصبة وهي تقول :

— المخلوقة القذرة التي ما أحست طوال حياتها تحوي إلا بالغيرة. وماذا عساي فاعلة إزاء هذه الظروف التي تناصبني العداء ... إنها ولا بد قد أتت عند ما عرفت ما فعلته من أجلي وما قدمته لي من المال، وإني أقسم لك أنه لو كانت هي وزوجها في محبوحة من

الرزق ما فكرت فى طرق بابك أو التحدث عنك كانسان تربطك بها وشيجة الرحم ... إنها تريد كل شىء لها ... لأولادها ... هؤلاء اللاعين الصغار ...

— لا تطرق لهذا الحديث بابا وكفى عن ذكر هؤلاء جميعاً ...

— بلى، إنها تريد أن تفسد على كل شىء وأن تحطم حياتى بل إنها لم تكد تعلم بما أصبته هنا من هدوء بال وراحة حتى أتت تنغص على عيشى ... صارحنى ... هل صدقت ما قالته لك ؟!

— كلا ...

— أنا لم أكن أتطلب من شىء سوى أن أستشمر حريتى ... أوليس من حق أن أنشد السعادة ؟ ما أردت شيئاً ولكن نلت بعض ما كنت أبغى وها هى ذى قد أتت ...

— لا تهتمى بذلك .

وقام من مكانه ثم ذهب إلى المصباح فأوقده وعاد يطيل النظر إليها وهى مطرقة الوجه وشفتاها ترتعدان ... ما أجملها وأبدع هذا الثوب من الشباب الفاتن يزيدها روعة ! كانت فى رداء قشيب وقفازين صغيرين أفصحا عن محاسن يديها وجوارب حريرية ... كانت مضطربة الأعصاب فتركت يدها المرتجفة تعبث بخيوط المقعد الكبير ... وتنهد ثم قال لها :

— هل تسمحين ... إن لدى بعض أعمال تتطلب الانجاز .

— حسن ...

وقامت من مكانها وقد تجسمت فى هيئة تمثال خائف مشبك الذراعين على صدره وهى تنظر إلى شقيقها الذى رفع إليها وجهه ، ثم تمتم ألا تجزعى وعاد ثانية ليواصل عمله . وكان العمل المستمر هو سلوانه الوحيدة فى غده إذ ظل منكباً على أوراقه من مطلع النهار إلى غروب الشمس عند ما أتته ثانية روزا وإذ نهض ليتبينها طلبت منه فى همس أن يستمر فى عمله لأنها ستجلس قبالته ... وحاول جورج أن ينفذ طلبها دون جدوى إذ كان يحس أن عينيها النافذتين المتلئتين بشتى الأحاسيس والعواطف ما انفكتا تنظران إليه وتديمان التطلع إلى وجهه ... وفجأة سمعها تقول :

— لم لم نأت اليوم لزيارتى وقد انتظرت مقدمك دون أن أبارح البيت ؟!

ووضع جانبا القلم ثم التفت إليها ... كانت فى ملابس سوداء رشيقة وقد اكتسى وجهها صفرة وشحوباً ... وأجاب :

— يخيل إلى أن الجو أكثر برودة هذه الليلة

— لا شك أنك تعرف ما آل إليه حال تيلدا . إن زوجها رجل ساذج تغره الظواهر ولذا لم يعرف كيف ينظم أعماله فساءت ... كان له عميل سرقه وغرره بالأمانى فساءت الحالة ... إنه على شفا الافلاس، وها هم أولاء مقبلون على مصير غامض وقد كان جديراً به أن يفكر قبل تورطه فى مصير أولاده

— لا أعرف عن هذا أى شىء ...

وسكتت روزا على مضض ولكنها لم تيأس ثانية من مهاجمته وآثرت أن ترمى آخر سهم فى جعبتها فقالت متمتمة :

— ولما ساء حال زوج شقيقتي تيلدا إلى هذا الحد لجأ إلى زوجي ملتمساً معونه ولكنه رفض إذ كيف يبقى وزوجته على مال وقد كان لها منه ثلثمائة ألف أضاعاها

— وهل هناك من سر جعلك تصارحيني بما قلت ؟!

— رغبة مني في أن أجعلك تقف على الحقيقة لأنك طيب القلب وتحب مساعدة الآخرين ...

— هذا لطف منك

لم يحول عينيه عنها وهي في مكانها وقلبه يدق مضطرباً بين جنبيه ... لكم كان في شوق إلى سماع كلمة حنان منها تصارحه فيها بأنها تود أن تبحث عن عمل ولا تعيش عالة على الآخرين . تقوم بخدمته المنزلية ... تترك مسكنها الفخم إلى آخر ولكنها لم تفعل بل راحت تطيل النظر إلى النافذة ثم بدأت حديثاً آخر

وفي اليوم التالي تلقى جورج من شقيقته تيلدا الرسالة التالية :

عزيزي جورج :

لكم أسفت إذ تركتك في مثل حالتك ولكنها الظروف . . . هي أيضاً ما حدا بي إلى الكتابة ثانية إليك لأصارحك أنه قد ساءت حالنا ولن تستقيم إلا بعد أن ندفع خمسين ألفاً نحن زعمان بأنها لا بد عائدة ، لأن المستقبل لصناعتنا وبوسعي أنا وزوجي أن نعطيك الضمان الكافي للتسديد في ظرف عامين لو أنك دفعت دينا وأنقذتنا من هاوية الفقر ...

إنني أعرف فيك طيبة القلب وهي التي ستدفعك إلى مساعدتنا ولاساءت العاقبة وعضنا الدهر بنابه فيتشرد الأطفال ويصبح أكبرهم شارل الذي يحلم بالمستقبل شحاذاً منبوذاً ... وأنا واثقة أنك ستحضر لانقاذنا وأنك سوف تحب الأطفال

لك حبي أنا ... أختك التعسة : (تيلدا)

حاشية : — « أما ما قلته لك عن روزا وأكدت أنت لي كذبه فأخبرك أن زوجي سوف يحضر إلى براغ ومعه حجج دامغة تثبت صدق ادعاءاتي ... إن روزا لا تستحق حبك وعطفك لأنها لطخت بالعار هاماتنا ؛ وخير لها أن تعود إلى زوجها ، وإنه لصافح عنها كي تترك لأولادي الصغار لقمة العيش التي بها يقيتون »

أي ضيق هذا الذي يحسه ... إنه من العبث أن يستمر في عمله على هذه الصورة من الارتباك الذهني ، وإنه لخير له أن يغادر مسكنه إلى الخارج عساه يستطيع أن يروح عن نفسه ... واعتزم الذهاب لزيارة روزا ... وصل إلى مسكنها ولكنه لم يكد يقدم على دق بابها حتى سمع من الضمير صوتاً ينهاه فعاد أدراجه متلصصاً ، وإذ هو في الطريق أبصر شابة تتشح بالفراء متعلقة بذراع أحد الضباط تحث الخطى خلفهما كعاشق تسبت النيرة به ، ولكنه لم يجدها روزا ... كانت فتاة أخرى فاتنة متبرجة فيمم شطر مسكنه ولم يكد يلجه حتى ألفى روزا المسكينة مستلقية على المقعد الطويل غارقة في بحر من مدامعها وبمقربة منها سقطت رسالة تيلدا التي تركها جورج عند مغادرته المسكن ... وأحست بمقدم أخيها فقالت له متوسلة بصوت خنقت الدموع نبراته :

— يا شقيق المسكين ... أرأيت هذه الخلوقة

التعسة التي تريد أن تسرقك علانية؟ لا تعطها شيئاً ولا تصدق كلمة مما قالته ... إنك لا تعرف أي نوع من النساء هي ... ألم تر إلى تهمها كيف تصبها كذباً علي ؟ ما الذي فعلته لها ؟ ما أروع هذه الأفكار ... إنها لا تريد شيئاً سوى المال وعن طريق سلبك . مالك تعمدت الاساءة إلى ...

— إنها أم لأطفال ياروزا .

— تلك هي ذريعتها الأبدية ... لطالما سرقتنا وما كانت لتهتم بسوى المال.. تزوجت من أجل المال . ألا تذكر أن أمانيها وهي طفلة كانت تنحصر في تخيلها الغنى واليسار ..؟ إنها مخلوقة شرسة ، فهل لك أن تدلني على ذلك الشيطان الذي تقمصها ؟ ! إنها تريد الآن أن تسرقني فهل أنت يا جورج معطيها هذه الفرصة ؟ ! هل ستتخلص مني ؟! لخير لي أن ألقى الموت غرقاً من أن أعود ثانية

وكان جورج يسمعها وهو محنى الرأس . . . أجل .. إن هذه الفتاة تقاتل من أجل كل شيء .. تقاتل تيلدا .. بل تقاتله هو نفسه إن حاول أن يسلبها شيئاً ... المال ... ودوت في أذنيه هذه الكلمة وجعلته ينصت مرة أخرى إلى روزا وهي تقول :

— لقد كان منحك إياي المال أشبه الأشياء بالمعجزات . . . إنك أنت الذي وهبني هذا المال وكان جديراً بك ألا تهبه مادام التفكير في استرداده كان يراود خيالك

— إنه مالي . . . ملكي الخاص وإني سأفكر في هذا الأمر

تلك كانت أول مرة يهين فيها روزا فلمعت عيناها ببريق من الكراهية ولكن صرامته البادية أسكتتها فأحنت رأسها وانصرفت

وفي اليوم التالي طرق بابه زائر . . . كان زوج تيلدا الضخم الجثة الذي يشبه الكلب في ملامحه .. ولقيه جورج متجهماً ولم يقم احتراماً لمقدمه كي يتركه واقفاً ثم سأله في لهجة آمرة :

— ما الذي تريده ؟ !

وروع الحديث الفاجئ الضيف القادم فأرتج عليه وقال :

— أنا ... أنا ... إن تيلدا هي التي أرسلت هذه الأوراق التي طلبتها أنت ...

— أنا ما طلبت شيئاً

— لقد كتبت تيلدا إليك أيها الأخ وشرحت ظروفنا ... فان كنت تريد مشاركتنا العمل ، وإني أؤكد لك أن المستقبل ...

وفي هذه اللحظة انفرج الباب في بطء وأطلت روزا التي روعها أن ترى زوج تيلدا ... وقال جورج لها :

— ماذا حدث ؟

— جورج ...

— لدي أعمال وزائر كما ترين ... هل تسمحين ؟!

وفي رهبة قدم زوج تيلدا الرسائل وهو يقول:

— وهذه يا سيدي هي الرسائل التي كتبها لنا زوجها وبعض أوراق أخرى ...

وتهالكت التعسة وأمسكت بالباب إذ خانتها القوى في الوقت الذي سمعت فيه شقيقها يطلب من القادم أن يسلمه الرسائل، فلما أخذها لم يكلف نفسه عناء تصفحها بل أعطاها أخته وهو يقول:

— خذي هذه . . . واسمحي لي أن أقول لك

لا تنتهي إلى الصرف من أجل المال لأن ذهابك لا فائدة فيه ... والآن يا سيدى ما هي مهمتك ؟ !

— المسألة تنحصر في ... رأس المال ...

— اسمع إلى يا سيدى ... لست أراك كما تدعى رجل أعمال

— سأعمل جهدي و ...

— كيف أستطيع أن أوليك ثقتي وتكون أميناً في نظرى ؟ !

— أعدك بذلك ... إن لدينا أطفالا ...

— كفى ... يمكنك أن تأتيني بعد عام

— بعد عام !

— وداعاً يا سيدى ...

ومادت الأرض تحت قدمي النمس وغشت عينيه سحابة من الكدر واستدار مغادراً الحجرة وهو يقول

— وداعاً و ... شكراً لك

. . . . . .

وأحس جورج هدوء الوحدة وساده ضعف حبيب فقام يرتب الأوراق المبعثرة على النضد ثم نادى مدبرة البيت التي ما إن أتت حتى كان قد نسى ما اعتزم قوله لها .. وأرادت السيدة أن تعود ولكنها سمعت صوته

— قفى ... إذا أتت اليوم ... أو في الغد ... أو في يوم من الأيام شقيقتي روزا فقولى لها إني معتكف و ... إني لا أستطيع أن أقابل أحداً ...

وخرجت السيدة وشملته الوحدة ثانية فاستلقى على المقعد الطويل وهو ينظر إلى عنكبوت بدأ نسيجه في ركن الحجرة الواقع فوق رأسه

ابراهيم عبد القادر المازني

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الأديب

ابي العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً